بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين... وبعدُ؛

فهذا كتاب ثانٍ يجمع بين دفتيه بعضًا من دراساتٍ شاركت في مؤتمرات أدبية **مُحكّمة** محلّيًّا وعربيًّا. وقد أُنجزت بين 2009–2012، وقد عالج جلّها قضايا علم النص وتحليل الخطاب. بلغ عدد الدراسات المختارة تسعًا، ترد مرتبةً وفق تاريخ مشاركتها، ومحافظةً– في العموم– على شكل متنها الأصلي بعد حذف ملخصاتها العربية والإنجليزية.

يمثل حضور هذه القراءات إضافة كمية ونوعية إلى مكتبة النقد الأدبي التطبيقي في فلسطين، وذلك على النحو الآتي:

القراءة الأولى: تجليات التداخل النصي في الرواية الفلسطينية: رواية "القادم من القيامة" أنموذجًا

سعت إلى تبيّن أشكال التداخل النصي في رواية وليد الشرفا "القادم من القيامة" الصادرة في طبعتها الأولى عام ألفين وثمانية عن منشورات مركز أوغاريت الثقافي برام الله. أمست ظاهرة التداخل النصي ملمحًا فنيًّا له حضور جليّ في التشكيل الصياغي للخطاب الروائي الفلسطيني بعد أوسلو عامة، وانتفاضة الأقصى خاصة؛ فلا تكاد تخلو رواية من علاقات التداخل والتفاعل مع الخطابات الأخرى الشعرية والنثرية، حيث يُكتشف الماضي، ويُقرأ في هَدْي الراهن، ويُعاد بناؤه من جديد وفق أساليب تمتاح المحمولات الدلالية المختلفة، لتُظهر طزاجة التجربة القصِّية،

وخصوصية منشئِها في التعبير عن الواقع في أبعاده الذاتية والحضارية والإنسانية. فليس ثمة أديب يستطيع التعبير عن المعنى بمفرده؛ لأن الأجزاء المتفرّدة في أدبه هي تلك التي يؤكد خلودهم فيها بعنف الموتى من الأدباء أسلافه. ذلك أن كل نص محكوم بالتوالد مع نصوص أخرى بآليات وقوانين متعددة، يصطفي من بينها الأديب ما يناسبه للتعبير عن الرؤية الجمالية المرغوب في ملامستها في خطابه الأدبي؛ فالآخرون هم علاماتنا، ويجب علينا منادمتهم.

إنّ تمعنًا سابرًا الرواية الفلسطينية بين الأعوام ألفين وألفين وثمانية، يُنبئ أنها تتفاعل ونصوصًا كثيرة تصب في المتخيّل الروائي، فتثري سردياته، ووصوفه، وحواراته، حيث يقف المتلقي على أمثال وحكايات شعبية، وأساطير، وآيات قرآنية، وأحاديث، وأشعار، وأحداث تاريخية وسياسية، وأغانٍ شعبية، وقصائد مُغَنّاة، وأقوال مأثورة لمشاهير، فتهضم الرواية – قيد الدراسة– النص الآخر وتستوعبه؛ من أجل محاورته تآلفًا وتخالفًا؛ لأن النص المُحاوِر يهدف من خلال المحاوَرَة إلى خلق نص جديد فيه بعض القديم، وفيه بعض ما أنجبته المُحاوَرَة وابتدعه الاحتكاك.

القراءة الثانية: تجليات الملفوظ التداولي في الأدب الفلسطيني المعاصر

سعت إلى رصد نماذج من الموروث الشفوي متنوع الأشكال، باعتباره ظاهرة فنية ذات أثر عميق في بنية الخطاب الأدبي الفلسطيني؛ حيث يعيد الأديب الفلسطيني عبره تفجير الماضي في ضوء سطوة الراهن، بأبعاده الإنسانية، ليصار إلى إعادة تشكيله حسب رؤية شعرية وقصية تمتاح المحمولات الدلالية الموروثة؛ لتظهر طزاجة التجربة الإبداعية، وخصوصية منشئها في التعبير عن واقع أناه الفردية والجمعية.

تتموضع أشكال الملفوظ التداولي في الأدب الفلسطيني الحديث في الأمثال، والحكايات، والأغاني، والأقوال المأثورة، والألغاز والأحاجي؛ ما يجعل الخطاب الأدبي القصي والشعري

جزءًا عضويًا من كيانٍ باحث عن سيادة، وتجسيد هوية، وبها يمثل إشارات ممتصة من الحافظة الجمعية؛ للتعبير عن مرحلة مهمة في تاريخنا.

القراءة الثالثة: أغنية "عَ الشوملي" الشعبية: مقاربة نصية

تعبر الأغنية الشعبية عن صورة حية دقيقة لأشكال الحياة وهمومها، ومدى امتزاج الوجدان الجماعي وأحلام الناس بعبق الأرض. فلكل أغنية حكاية مرتبطة بحال معين، وتستند في مضمونها إلى الزمن الذي يعكس من خلاله واقعًا مرتبطًا بتجربة حوله.

إن اهتمام الكاتب بالتداخل من المُغَنّى يعكس أبعادًا نفسية لها علاقة بالحدث أو بتلاؤمه معها. تنهض الورقة على توظيف معطيات "لسانيات النص" في مقاربة الأغنية الشعبية بعدّها نصًّا منفتحًا على فضاء التواصل، وشروط أطراف الخطاب، ومقاصده، بما هو رسالة، أو بلاغ قاصد.

لّما كانت الأغنية الشعبية شكلا لسانيًا للتفاعل الاجتماعي، فإن النظر في الدائرة النصية، ومعالم النصية تقتضي تحديد البنية الكلية للأغنية، وذلك من خلال تبيان الدلالة العامة، وإظهار أثر السياق العام في ذلك، وتحديد البنى النصية الكبرى بحصر الأركان الأساسية المُشكّلة للبنية الكلية للنص، وتفكيك البنى النصية الصغرى للأغنية، وكشف الكيفية التي تتسابك بها تلك البنى.

القراءة الرابعة: ديوان الرحيل: قراءة في تجليات المكون الثقافي

سعت إلى رصد تجليات المكون الثقافي في ديوان "الرحيل" للشاعر مطلق عبد الخالق الذي عايش الانتداب البريطاني على وطنه فلسطين.

إن تداخلات تاريخية، ودينية، وأدبية، وشعبية قد فرضت حضورًا لافتًا في جغرافيا النصوص الشعرية اعتمد عليها الشاعر في إثراء محمولات القصائد الدلالية.

قد كشفت عملية تتبع هذه التداخلات أن المنشئ قد تعامل معها في أنماط معينة، تفاوتت في نسب شيوعها ، بحيث مثّلت ظواهر أسلوبية تجلت القصدية في استخدامها دلائل لغوية حاملة في أرحامها معاني واضحة، على مستوى أطرها الوطنية والاجتماعية والصوفية التي عبرت عن انعكاس الحالة السياسية في تشكيل وعي الشاعر الذي أنتج أثرًا أدبيًا مثل ثقافة.

القراءة الخامسة: القدس في الرواية الفلسطينية بعد أوسلو: نماذج مختارة

سعت إلى الكشف عن موضوعة "حضور القدس في الرواية الفلسطينية بعد أوسلو" باعتبار القدس ذاكرة وحنينًا وطموحًا ، بخصوصية تتآلف من مجاميع جغرافية وتاريخية وثقافية ودينية، حملت قيمة التقديس الوجداني والذهني والإبداعي؛ ما يعني أنها تؤلّف هاجسًا أساسيًا للروائي الفلسطيني الذي يعطيها مساحة أو رقعة بارزة في جسد خطابه.

في هذا الإطار ثمة أسماء كثْر أدخلت القدس في بنية أثرها المسرود مكانًا جغرافيًا بتجلياته النفسانية والوطنية والدينية والثقافية والتاريخية، وحيث ينقل الواحد نظره في المتون الإبداعية يقع على حضورٍ للقدس بشكل ما أو بآخر.

القراءة السادسة: ثلاث صور من غزة: قراءة نصّيَّة

إنّ المَقْصِدَ المُتَعيِّنَ من هذه القراءة هو تَلَمُّسٌ تطبيقيٌّ ناهضٌ على معطياتٍ من لسانيات النص وتحليل الخطاب مضماره قصيدة صلاح عبد الصبور" ثلاث صور من غزة "التي تتعالق لوحاتها الثلاث متسابكة لتتألّف أمام القارئ نسيجًا يشكِّل بنية كلّيّة تمثّل حركة متواصلة، تتخلّق دلالاتها من رحم التجربة الشعرية الناهضة على عوامل مختلفة منها "نكبة فلسطين"، وأعماق النفس الإنسانية المُتَحققة في المعيش العينيّ؛ فالشاعر صلاح عبد الصبور يستند إلى تجربة شعبية تُسجِّل عدستها لحظاتٍ كانت وكائنة في حياة الإنسان الفلسطيني، وتنظمها شعرًا تُجسِّد الذاتُ

الشاعرة من خلاله مأساة العربي الفلسطيني، وعمق الجرح الغائر في وجه زمانه، حيث ضياع الوطن.

القراءة السابعة: الأشكال النظمية لدى عائشة الباعونية: قراءة في ديوان" فيض الفضل وجمع الشمل"

إن المطلب الرئيس الذي تسعى إليه القراءة هو تبين الأشكال النظمية في ديوان عائشة الباعونية (ت922هـ) "فيض الفضل وجمع الشمل"، الذي تتجلى قيمته في كونه مصدرًا ذا أصالة أدبية؛ فهو يمكّن التعرف إلى شعر نسوي يستوي على ملامح خاصة يمكن استشرافها بأنظار متدبرة ناقدة؛ ذلك أن المرحلة تأتي أواخر عهد المماليك التي تمثل معلمًا من معالم سيرورة الأدب العربي في عصوره المتقادمة والمتطاولة.

يتجلى في ديوان "فيض الفضل" أن الشاعرة قد ترددت فيه بين أشكال نظمية متنوعة:

أولها: القصيدة العمودية، وقد سطا هذا الشكل على جلّ الديوان، وائتلف من مقطّعات صغيرة، وقصائد متوسطة، وطوال قد يزيد عدد أبيات الواحدة على مئتيْ بيت.

ثانيها: الموشحات، وقد ائتلف هذا الشكل من التام، والأقرع، والفصيح، والعامي الملحون، والمتردد بينَ بينَ، والدّوبَيْتيّ.

ثالثها: المخمّسات/ التخميسات، واحتل مساحة قليلة جدًا؛ فقد خمّستْ بعض الأبيات والقصائد القصيرة.

آخرها: نماذج من الشعر العاميّ الملحون، كالزجل، والمواليا الذي له وزن واحد وأربع قوافٍ.

تمثل الموشحات والمخمسات والشعر العامي الملحون مظاهر تجديد في الشكل الموسيقي للقصيدة القديمة.

رصدت القراءة محاولة الباعونية الجادة للمزاوجة بين بحرين في القصيدة الواحدة؛ ما يمثل إرهاصًا ودورًا رياديًا للقفز فوق الشكل التقليدي للعروض الخليلي من جهة، وضربًا خاضعًا مباشرة للحالة النفسانية أو الشعورية التي تصدر عنها الشاعرة من جهة أخرى.

القراءة الثامنة: بنية الإنشاء الطلبي: قراءة في شعر محمود درويش

سعت إلى دراسة بنية الإنشاء الطلبي من أمر ونهي واستفهام ونداء وتمن، بصفتها ظواهر أسلوبية متعددة، ومتنوعة ذات دلالة متحوِّلة، فوارقها جد دقيقة، تحمل طاقات تعبيرية عديدة، ومدهشة، تُستكشف بواسطتها جماليات الصياغة الأدبية وفنيتها في شعر محمود درويش.

أظهرت البنية حضورًا كثيفًا حرّك المعنى إلى أفق مستمر الانزلاق، أوجب على المتلقي ملاحقته؛ ما جعل الدلالة في وضْع تأجيلي منتظر، قد يقصر زمنه أو يطول، وجعْل النص في ديمومة الإحالة. إن عملية تأجيل المعنى سمة شعرية متأصلة وممتدة الجذور في خطاب محمود درويش الشعري.

تحاول القراءة الواعية إظهار بنية الإنشاء الطلبي إظهارًا كليًا أو جزئيًا، تبعًا للسياقات النصية؛ حيث تتجلى آلياتُ تعبيرٍ حيويةٌ، لجأ إليها الشاعر لتلوين أسلوب نصه، وبعْث الدينامية والجدة فيه، ودفْع المتلقي للمشاركة في فعل الإبداع، فيتلقى أوامره ونواهيه وتساؤلاته، ويشاركه في وجدانياته؛ يفرح ويحزن، ويحلم ويغضب، ويسكن ويثور، ويقبل ويرفض؛ ما أكد خصيصة خطابية للغة الشعرية.

إن التعامل وهذه الظاهرة التعبيرية ليؤكد حقيقة التعالي التي يتسم بها خطاب درويش تجاه المتلقي من جهة، وشده إليه من جهة أخرى؛ "إذ مقتضى الأمر أو الاستفهام – مثلا– أن يكون المبدع صاحب سلطة توجيهية".

تنحاز القراءة إلى منهج اختيار نماذج دالة، فسّرت رغبة الشاعر في إدخال المحمولات الدلالية في دوائر التأويلات.

القراءة التاسعة/ الأخيرة: رواية "قصة حب مقدسية": قراءة في الفضاء النصي

اشتغلت على غلاف رواية يوسف العيلة وعنوانها بعدّهما عتبتيْن في الفضاء النصي- أحد مكوّنات الفضاء الروائي- المتعالق بالصورة الشكلية للنص المسرود؛ حيث تتبيّن القراءة حدود ترابط العتبتين ومحتوى الرواية الداخلي/ الجواني. تهتم القراءة-كذلك- بالفضاء النصي كونه ضربًا من العلامات السيميائية التي تُمكِّن المتلقي من الإمساك بشكل أو بآخر بالمحمولات الدلالية للنص.

يولي يوسف العيلة الجانب التشكيلي أهمية؛ ما جعله يعلن تعالقًا مع العنوان والمتن بعدّهما نصين مكتوبين مهتمين بثقافة الكلمة، وبين اللوحة التشكيلية بوصفها مهتمة بثقافة الصورة.

obeikandl.com